

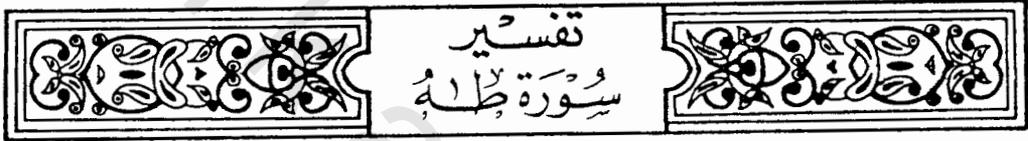
ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضه أهل السماء، ثم يوضع له البغضاء في الأرض».

﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزُقُهُ بِلسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٤٧﴾﴾

﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزُقُهُ﴾ يعني القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي يا محمد، وهو اللسان العربي المبين الفصيح الكامل ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ أي المستجيبين لله المصدقين لرسوله ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ أي عوجاً عن الحق، مائلين إلى الباطل. والألد: الخصم، أو الكذاب.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿مِنْ قَرْنٍ﴾ أي من أمة كفروا بآيات الله وكذبوا رسله ﴿هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ أي هل ترى منهم أحداً، أو تسمع لهم صوتاً؟ والركز في أصل اللغة هو الصوت الخفي.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه﴾ ﴿١﴾

﴿طه﴾ قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذْكِرَ لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾﴾

روى القاضي عياض في كتابه الشفاء عن الربيع بن أنس قال: كان النبي ﷺ إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى، فأنزل الله ﴿طه﴾ يعني طاً الأرض يا محمد ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ ثم قال: ولا يخفى ما في هذا من الإكرام وحسن المعاملة. عن الضحاك لما أنزل الله القرآن على رسوله ﷺ قام به هو وأصحابه فقال المشركون من قريش: ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشقى. ﴿طه﴾ ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ ﴿إِلَّا نَذْكِرَ لِمَنْ يَخْشَى﴾ فليس الأمر كما زعم المبطلون، بل من آتاه الله العلم وقد أراد به خيراً كثيراً كما ثبت في الصحيحين عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» وما أحسن الحديث الذي رواه الطبراني عن رسول الله ﷺ «يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عباده: إنني لم أجعل علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي» إسناده جيد. قال قتادة: لا والله، ما جعله شقاء، ولكن جعله رحمة ونوراً ودليلاً إلى الجنة. ﴿إِلَّا نَذْكِرَ لِمَنْ

يَخْتَشَى ﴿٣﴾ أي أن الله أنزل كتابه، وبعث رسوله رحمة رحمة بها عباده ليتذكر ذاكر، ويتفجع رجل بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه.

﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ ﴿٤﴾

﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ أي هذا القرآن الذي جاءك يا محمد هو تنزيل من ربك رب كل شيء ومليكه القادر على ما يشاء، الذي خلق الأرض بانخفاضها، وكثافتها، وخلق السماوات العلى في ارتفاعها ولطافتها.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ من غير تكييف ولا تحريف، ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ﴿٦﴾

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ أي الجميع ملكه وفي قبضته وتحت تصرفه، ومشيئته وإرادته وحكمه، وهو خالق ذلك ومالكة وإلهه، لا إله سواه، ولا رب غيره وقوله: ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ أي ما تحت الأرض السابقة.

﴿وإن يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ﴿٧﴾

﴿وإن يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ أي أنزل هذا القرآن الذي خلق الأرض والسماوات العلى الذي يعلم السر وأخفى والسر ما أسره ابن آدم في نفسه، وأخفى ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه، فالله يعلم ذلك كله، فعلمه فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد، وجميع الخلائق عنده بنفس واحدة، وهو قوله: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَجِدْوً﴾ [لقمان: 28] أو السر هو ما تحدث به نفسك، وأخفى هو ما لم تحدث به نفسك بعد.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ أي الذي أنزل عليك القرآن هو الله الذي لا إله إلا هو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا

يَقْبِيسٍ وَوَجَدَ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾

من ههنا شرع تبارك وتعالى في ذكر قصة موسى، كيف كان ابتداء الوحي إليه، وتكليمه إياه، بعدما قضى موسى الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم وسار بأهله، قيل: قاصداً بلاد مصر بعدما طالت الغيبة عنها أكثر من عشر سنين، ومعه زوجته، فأضل الطريق، وكانت ليلة شاتية، ونزل

منزلاً بين شعاب وجبال في برد وشتاء، وسحاب وظلام وضباب وجعل يقدح بزند معه ليوري ناراً كما جرت له العادة به، فجعل لا يقدح شيئاً، ولا يخرج منه شرر ولا شيء، فبينما هو كذلك إذ آنس من جانب الطور ناراً، أي ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه فقال لأهله يبشرهم ﴿إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ أي شهاب من نار، وقوله: ﴿بِقَبَسٍ﴾ دل على وجود الظلام. وقوله: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ أي من يهديني الطريق، ودل على أنه قد تاه عن الطريق، فإن لم أجد أحداً يهديني إلى الطريق أتيتكم بنار توقدون بها.

﴿فَلَمَّا أَنهَا نُوْدَىٰ يَمْوَسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنهَا﴾ أي النار واقترب منها ﴿نُوْدَىٰ يَمْوَسَىٰ﴾ وفي الآية الأخرى ﴿نُوْدَىٰ مِّنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [القصص: 30] وقال ههنا ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ أي الذي يكلمك ويخاطبك ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قيل: إنما أمره بخلع نعليه تعظيماً للبقعة. ﴿طُوًى﴾ هو اسم وادٍ.

﴿وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ﴾ كقوله: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَاتِي﴾ [الاعراف: 144] أي على جميع الناس من الموجودين في زمانه ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ أي استمع الآن ما أقول لك، وأوحيه إليك.

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ أي وحدني وقم بعبادتي من غير شريك ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ قيل: معناه، صل لتذكرني، وقيل: معناه وأقم الصلاة عند ذكرك لي، ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ قال: إذا رقد أحدكم عن الصلاة، أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فإن الله تعالى قال ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ وفي الصحيحين عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «من نام عن صلاة أو نسيها فكفارته أن يصلها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك».

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَىٰ ﴿١٥﴾﴾

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ أي قائمة لا محالة، وكائنه لا بد منها. وقوله: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ يقول: لا أطلع عليها أحداً غيري، قال السدي يقول: كتمتها عن الخلائق حتى لو استطعت أن أكتمها من نفسي لفعلت ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَىٰ﴾ أي أقيمها لا محالة لأجزى كل عامل بعمله.

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين أي لا تتبعوا سبيل من كذب

بالساعة، وأقبل على ملاذه في دنياه، وعصى مولاه، واتبع هواه، فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر ﴿فَتَرَدَّى﴾ أي تهلك وتعطب.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَى﴾ ﴿١٧﴾

هذا برهان من الله تعالى لموسى عليه السلام، ومعجزة عظيمة، وخرق للعادة باهر دل على أنه لا يقدر على مثل هذا إلا الله عز وجل، وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل. وقوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَى﴾ ﴿١٧﴾ قال بعض المفسرين: إنما قال ذلك على سبيل الإيناس له، وقيل: إنما ذلك على وجه التقرير، أي أما هذه التي في يمينك عصاك التي تعرفها فسترى ما نصنع بها الآن.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَاصِبُ أُخْرَى﴾ ﴿١٨﴾

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾ أي اعتمد عليها في حال المشي ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ أي أهز بها الشجرة لئلا تساقط ورقها لترعاه غنمي ﴿وَلِيَ فِيهَا مَنَاصِبُ أُخْرَى﴾ أي مصالح ومناصب وحاجات أخرى غير ذلك.

﴿قَالَ أَلْقَهَا يَمْوَسَى﴾ ﴿١٩﴾

﴿قَالَ أَلْقَهَا يَمْوَسَى﴾ ﴿١٩﴾ أي هذه العصا التي في يدك ألقها.

﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ ﴿٢٠﴾

﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ ﴿٢٠﴾ أي صارت في الحال حية عظيمة ثعباناً طويلاً يتحرك حركة سريعة، فإذا هي تهتز كأنها جان، وهو أسرع الحيات حركة، ولكنه صغير، فهذه في غاية الكبر، وفي غاية سرعة الحركة. ﴿تَسْعَى﴾ أي تمشي وتضطرب.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَ سُنْعِيدَهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ ﴿٢١﴾

﴿قَالَ خُذْهَا﴾ بيمينك ﴿وَلَا تَحْفَ سُنْعِيدَهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ أي إلى حالها التي تعرف قبل ذلك.

﴿وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ ﴿٢٢﴾ لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا

الْكُبْرَى، ﴿٢٣﴾

وهذا برهان ثان لموسى عليه السلام، وهو أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه ﴿وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ ضع كنبك تحت عضدك، وذلك أن موسى كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها تخرج تتلألاً كأنها فلقة قمر. وقوله: ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أي من غير برص ولا أذى ومن غير شين ﴿لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ ﴿٢٣﴾.

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾﴾ هذا سؤال من موسى ﷺ لربه عز وجل أن يشرح له صدره فيما بعثه به، فإنه قد أمره بأمر عظيم، وخطب جسيم، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك، وأجبرهم وأشدهم كفراً، وأكثرهم جنوداً، وأعمرهم ملكاً، وأطغاهم وأبلغهم تمرداً، بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله، ولا يعلم لرعاياه إلهاً غيره، هذا وقد مكث موسى في داره مدة وليداً عندهم في حجر فرعون على فراشه، ثم قتل منهم نفساً فخافهم أن يقتلوه، فهرب منهم هذه المدة بكاملها، ثم بعد هذا بعثه ربه عز وجل إليهم نذيراً يدعوهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له، ولهذا قال ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾ أي إن لم تكن أنت عوني ونصيري، وعضدي وظهيري، وإلا فلا طاقة لي بذلك.

﴿وَأَحَلَّلَ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَأَحَلَّلَ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ وذلك لما كان أصابه من اللثغ حين عرض عليه التمرة والجمرة، فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه وما سأل أن يزول ذلك بالكلية بل بحيث يزول العي ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة ولو سأل الجميع لزال، ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة، ولهذا بقيت بقية، قال تعالى إخباراً عن فرعون أنه قال ﴿أَرَأَيْتَ أَنَا أَخَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف: 52] أي يفصح بالكلام. قال الحسن البصري: ﴿وَأَحَلَّلَ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾﴾ حل عقدة واحدة، ولو سأل أكثر من ذلك أعطي.

﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾﴾ وهذا أيضاً سؤال من موسى ﷺ في أمر خارجي عنه، وهو مساعدة أخيه هارون له. عن عائشة أنها خرجت فيما كانت تعتمر فنزلت ببعض الأعراب فسمعت رجلاً يقول: أي رجل كان في الدنيا أنفع لأخيه. قالوا: لا ندري، قال: أنا والله أدري، قالت: فقلت في نفسي: لا يستثني في حلفه، إنه ليعلم أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه، قال: موسى حين سأل لأخيه النبوة، فقلت: صدق والله.

﴿أَشَدُّ بِهِ أَرِيْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ سُسِعَكَ كَثِيْرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذَكَّرَكَ كَثِيْرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا

بَصِيْرًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿أَشَدُّ بِهِ أَرِيْرِي ﴿٣١﴾﴾ ظهري ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ في مشاورتي ﴿كَيْ سُسِعَكَ كَثِيْرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذَكَّرَكَ كَثِيْرًا ﴿٣٤﴾﴾ قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً. ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا ﴿٣٥﴾﴾ أي في اصطفاك لنا وإعطائك إيانا النبوة، وبعثك لنا إلى عدوك فرعون، فلك الحمد على ذلك.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (٣٦) ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ (٣٧) ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَكَ مَا يُوْحَى﴾ (٣٨) ﴿أَنْ أَدْرِيفِيهِ فِي الثَّابُوتِ فَأَقْدِيفِيهِ فِي الْيَرِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُمُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِيُضَمَّ عَلَى عَيْتِي﴾ (٣٩) ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُمْ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ كَيْ تَفَرَّ عَيْتَهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقُلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَمَّتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (٤٠) ﴿

هذه إجابة من الله لرسوله موسى ﷺ من ربه عز وجل ، وتذكير له بنعمه السالفة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه ، لأنه قد ولد في السنة التي كانوا يقتلون بها الغلمان ، فاتخذت له تابوتاً فكانت ترضعه ، ثم تضعه فيه ، وترسله في البحر ، وهو النيل ، وتمسكه إلى منزلها بحبل ، فذهبت مرة لتربط الحبل ، فانفلت منها وذهب به البحر فحصل لها من الغم والههم ما ذكره الله عنها في قوله : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَّ قَلْبَهَا﴾ [القصص: 10] فذهب به البحر إلى دار فرعون ﴿فَالْقَطْعُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8] فحكم الله ، وله السلطان العظيم ، والقدرة التامة أن لا يربى إلا على فراش فرعون ، ويغذى بطعامه وشرا به مع محبته وزوجته له ، ولهذا قال تعالى : ﴿يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُمُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي﴾ أي عند عدوك جعلته يحبك ، وحبيبتك إلى عبادي ﴿وَلِيُضَمَّ عَلَى عَيْتِي﴾ تربي بعين الله . وقوله : ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ . . .﴾ وذلك أنه لما استقر عند فرعون عرضوا عليه المراضع فأبأها ﴿وَحَزَمْنَا عَلَيْكَ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [القصص: 12] فجاءت أخته وقالت ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ﴾ [القصص: 12] تعني هل أدلكم على من يرضعه لكم بالأجرة فذهبت به وهم معها إلى أمه فعرضت عليه ثديها فقبله ففرحوا بذلك فرحاً شديداً واستأجروها على إرضاعه فنالها بسببه سعادة وفرحة وراحة في الدنيا ، وفي الآخرة أعظم وأجزل ، ولهذا جاء في الحديث «مثل الصانع الذي يحتسب في صنعته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها» ولهذا قال تعالى : ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ كَيْ تَفَرَّ عَيْتَهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ أي عليك ﴿وَقُلْتَ نَفْسًا﴾ يعني القبطي ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ وهو ما حصل بسبب عزم فرعون على قتله ففر منه هارباً حتى ورد ماء مدين ، وقال له ذلك الرجل الصالح ﴿لَا تَخَفْ فَمَوْتٌ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 25] ﴿فَلَمَّتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ يقول تعالى مخاطباً لموسى أنه لبث مقيماً في أهل مدين فآراً من فرعون وملئه يرعى على صهره حتى انتهت المدة وانقضى الأجل ، ثم جاء موافقاً لقدرة الله وإرادته من غير معاد ، والأمر كله لله تبارك وتعالى وهو المسير عباده وخلقه فيما يشاء ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ على قدر الرسالة والنبوة .

﴿وَأَصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي﴾ ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِإِثْمِي وَلَا نِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلَا لِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾

﴿وَأَصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي﴾ ﴿٤١﴾ أي اصطفتيك واجتبتك رسولا لنفسي، أي كما أريد وأشاء. وفي البخاري عن رسول الله ﷺ قال: «التقى آدم وموسى، فقال موسى: أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة، فقال آدم: وأنت الذي اصطفاك الله برسالته، واصطفاك لنفسه، وأنزل عليك التوراة؟ قال: نعم، قال: فوجدته مكتوبا علي قبل أن يخلقني؟ قال: نعم، فحج آدم موسى» ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِإِثْمِي﴾ أي بحججي وبراهيني ومعجزاتي ﴿وَلَا نِيَا فِي ذِكْرِي﴾ لا تبطئا، أو لا تضعفا، والمراد أنهما لا يفتران في ذكر الله، بل يذكران الله في مواجهة فرعون، ليكون ذكر الله عوناً لهما عليه، وقوة لهما، وسلطاناً كاسراً له، كما جاء في الحديث «إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو مناجز قرنه» وقوله: ﴿أَذْهَبَا إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿٤٣﴾ أي تمرد وعتا، وتجبر على الله وعصاه ﴿فَقَوْلَا لَهُ قَوْلَا لِنَا﴾ هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، فإن ذلك أوقع وأبلغ وأنجع، كما قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُمْ بِلَاغِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125] وقوله: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ فالتذكر الرجوع عن المحذور، والخشية تحصيل الطاعة.

﴿فَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا نَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمِعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ فَأَنبَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِإِثْمٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾

يقول تعالى إخباراً عن موسى وهارون عليهما السلام أنهما قالوا مستجيرين بالله تعالى شاكيين له ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ يعينان أن يبادر إليهما بعقوبته، أو يعتدي عليهما فيعاقبهما، وهما لا يستحقان منه ذلك ﴿قَالَ لَا نَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمِعُ وَأَرَى﴾ ﴿٤٦﴾ أي لا تخافا منه، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى علي من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبسط إلا بإذني، وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأيدي ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِإِثْمٍ مِّنْ رَبِّكَ﴾ أي بدلالة ومعجزة من ربك ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ أي والسلام عليك إن اتبعت الهدى ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿٤٨﴾ أي قد أخبرنا الله فيما أوحاه إلينا من الوحي المعصوم أن العذاب متمحض لمن كذب بآيات الله، وتولى عن طاعته، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآتَى الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: 37، 39].

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى﴾ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن فرعون أنه قال لموسى منكرراً وجود الصانع الخالق إله كل شيء وربيه ومليكه

قال ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى﴾ أي الذي بعثك وأرسلك من هو، فإني لا أعرفه، وما علمت لكم من إله غيري ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ أعطى كل شيء صورته، أو أعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه، ولم يجعل للإنسان من خلق الدابة، ولا للدابة من خلق الكلب، ولا للكلب من خلق الشاة، وأعطى كل شيء ما ينبغي له من النكاح، وهياً كل شيء على ذلك، ليس شيء منها يشبه شيئاً من أفعاله في الخلق والرزق والنكاح ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ كقوله: ﴿وَالَّذِي فَدَرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: 3] أي قدر وهدى الخلائق إليه، أي كتب الأعمال والآجال والأرزاق، ثم الخلائق ماشون على ذلك لا يحددون عنه، ولا يقدر أحد على الخروج منه، يقول: ربنا الذي خلق الخلق، وقدر القدر، وجبر الخليفة على ما أَرَادَ.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾
 ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ أصح الأقوال في معنى ذلك أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر وهدى شرع يفتح بالقرون الأولى، أي الذين لم يعبدوا الله، أي فما بالهم إذا كان الأمر كذلك لم يعبدوا ربك، بل عبدوا غيره؟ فقال له موسى في جواب ذلك: هم. وإن لم يعبدوه فإن عملهم عند الله مضبوط عليهم، وسيجزئهم بعملهم في كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ، وكتاب الأعمال ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ أي لا يشذ عنه شيء، ولا يفوته صغير ولا كبير، ولا ينسى شيئاً. يصف علمه بأنه بكل شيء محيط وأنه لا ينسى شيئاً تبارك وتعالى وتقدس وتنزه، فإن علم المخلوقين يعتربه نقصان أحدهما عدم الإحاطة بالشيء والآخر نسيانه بعد علمه، فتره نفسه عن ذلك.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿وَمِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ ﴿٥٦﴾

هذا من تمام كلام موسى فيما وصف به ربه عز وجل حين سأله فرعون عنه قال ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: 50] ثم اعترض الكلام بين ذلك، ثم قال ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي قراراً تستقرون عليها، وتقومون وتنامون عليها، وتسافرون على ظهرها ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي جعل لكم طرقاً تمشون في مناكبها كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لِّعَاثِهِمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: 31] ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ أي من أنواع النباتات من زروع وثمار، ومن حامض وحلو ومر وسائر الأنواع. ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ أي شيء لطعامكم وفاكهتكم، ولأنعامكم لأقواتها خضراً وبيساً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي لدلالات وحججاً وبراهين

﴿لَأُولَىٰ النُّهَىٰ﴾ أي لذوي العقول السليمة المستقيمة على أنه لا إله إلا الله ولا رب سواه ﴿وَإِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿٥٥﴾ أي من الأرض مبدؤكم، فإن أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض، وفيها نعيدكم أي وإليها تصيرون إذا متم وبلبتم، ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الإسراء: 52] وهذه الآية كقوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنهَا تُخْرَجُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [الأعراف: 25] وقوله: ﴿وَلَقَدْ آرَيْنَهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَإِنَّمَا كَفَرًا، وَعِنَادًا وَبَغْيًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بَرْزَخًا وَظَلُمُتْ بَنَاتُهُمْ فَكَلَبُوا وَطُؤًا﴾ [النمل: 14].

﴿قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا آيَّتْنَاكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشَّرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى مخبراً عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى، وهي إلقاء عصاه، فصارت ثعباناً عظيماً، ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء، فقال: هذا سحر جئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس فيتبعونك وتكاثرنا بهم، ولا يتم هذا معك، فإن عندنا سحراً مثل سحرِكَ، فلا يغرنك ما أنت فيه ﴿فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ أي يوماً نجتمع نحن وأنت فيه، فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر في مكان معين ووقت معين، فعند ذلك ﴿قَالَ﴾ لهم موسى ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ وهو يوم عيدهم ونيروزهم وتفرغهم من أعمالهم، واجتماع جميعهم ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ومعجزات الأنبياء وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية، ولهذا قال: ﴿وَأَنْ يُخَشَّرَ النَّاسُ﴾ أي جميعهم ﴿ضُحًى﴾ أي ضحوة من النهار، ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح. وهكذا شأن الأنبياء كل أمرهم بين واضح ليس فيه خفاء ولا ترويح، وكان يوم الزينة يوم عاشوراء.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَنَّىٰ﴾ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن فرعون أنه لما تواعد هو وموسى ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ إلى وقت ومكان معينين ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أي شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته كل من ينسب إلى السحر في ذلك الزمان، وقد كان السحر فيهم كثيراً نافقاً جداً، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ ﴿٧٦﴾ [يونس: 79] ﴿ثُمَّ أَنَّىٰ﴾ أي اجتمع الناس لميقات يوم معلوم، وهو يوم الزينة، ووقفت السحرة بين يدي فرعون، صفوفاً، وهو يحرضهم ويحثهم ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم، ويتمنون عليه وهو يعددهم ويمنيهم ويقولون ﴿أَيْنَ لَنَا لَاجِرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَئِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ [الشعراء: 41، 42].

﴿قَالَ لَهُم مُوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَن
أَفْتَرَى﴾ (٦١)

﴿قَالَ لَهُم مُوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي لا تخيلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها وأنها مخلوقة فتكونون قد كذبتهم على الله ﴿فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ﴾ أي يهلككم بعقوبة هلاكاً لا بقية له ﴿وَقَدْ خَابَ مَن أَفْتَرَى﴾.

﴿فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ (٦٢)

قيل: معناه أنهم تشاجروا فيما بينهم، فقاتل يقول: ليس هذا بكلام ساحر، إنما هذا كلام نبي، وقاتل يقول: بل هو ساحر وقيل غير ذلك والله أعلم ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي تناجوا فيما بينهم.

﴿قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ
الْمُنَى﴾ (٦٣)

﴿قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ﴾ والغرض أن السحرة قالوا فيما بينهم: تعلمون أن هذا الرجل وأخاه - يعنون موسى وهارون - ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر، يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومكم، ويستوليا على الناس، وتتبعهما العامة، ويقاتلا فرعون وجنوده، فينتصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم. وقوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُنَى﴾ أي ويستبدا بهذه الطريقة، وهي السحر، فإنهم كانوا معظمين بسببها، لهم أموال وأرزاق عليها.

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَن أَسْتَعْلَى﴾ (٦٤)

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًّا﴾ أي اجتمعوا كلكم صفاً واحداً، وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة، لتبهروا الأبصار، وتغلبوا هذا وأخاه.

﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَن أَسْتَعْلَى﴾ أي منا ومنكم، أما نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل، وأما هو فينال الرياسة العظيمة.

﴿قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِمَّا أَنْ تُلْفَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَٰئَ مَنْ أَلْفَىٰ﴾ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْفُوا بِإِذَا جَاهَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ
إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَىٰ مَا
فِي يَمِينِكَ نَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأَلْفَىٰ السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا
ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن السحرة حين توافقوا هم وموسى عليه السلام أنهم قالوا لموسى ﴿إِمَّا أَنْ تُلْفَىٰ﴾ أي أنت أولاً ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَٰئَ مَنْ أَلْفَىٰ﴾ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْفُوا﴾ أي أنتم أولاً لنرى ما تصنعون من السحر،

وليطهر للناس جلية أمرهم ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّى تَسْعَى﴾ وفي الآية الأخرى أنهم لما ألقوا ﴿وَقَالُوا بِعَزَّةٍ فَرَعُونَ إِنَّا لَتَحْنُ الْفَالِقُونَ﴾ [الشعراء: 44] وقال ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَهْوَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 116] وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب، وتميد بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها وإنما كانت حيلة، وكانوا جماعاً غفيراً، وجمعاً كثيراً، فألقى كل منهم عصاً وحبالاً حتى صار الوادي ملآن حيات يركب بعضها بعضاً. وقوله: ﴿فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾ أي خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم ويعتروا بهم قبل أن يلقي ما في يمينه، فأوحى الله تعالى إليه في الساعة الراهنة أن ألقى ما في يمينك، يعني عصاك، فإذا هي تلقف ما صنعوا، وذلك أنها صارت تيناً عظيماً هائلاً ذا قوائم وعنق ورأس وأضراس فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم تبق منها شيئاً إلا تلقفته وابتلعتها، والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عياناً، جهرة نهاراً ضحوة، فقامت المعجزة واتضح البرهان، ووقع الحق وبطل السحر، ولهذا قال ﴿إِنَّا صَنَعُوا كَيْدًا سَحِيرًا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ فلما عين السحرة ذلك وشاهدوه، وإنهم خيرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل، وأنه حق لا مرية فيه، ولا يقدر على هذا إلا الذي يقول للشيء كن فيكون، فعند ذلك وقعوا سجداً لله، وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون، فكانوا أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء بررة.

﴿قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَمْ قَبَلْ أَنْ ءَادَنْ لَكُمْ ءِِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَابِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلِنَعْلَمَنَّ ءِئِنَّآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ ﴿٧١﴾

يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرتة بالباطل حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة، ورأى الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم، وغلب كل الغلب شرع في المكابرة والبهت، وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في السحرة فتهدهم وتوعدهم وقال ﴿ءَأَمِنْتُمْ لَمْ﴾ أي صدقتموه ﴿قَبْلَ أَنْ ءَادَنْ لَكُمْ﴾ أي وما أمرتكم بذلك، وافتنتم علي في ذلك، وقال قولاً يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بهت وكذب ﴿ءِِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ أي أنتم إنما أخذتم السحر عن موسى، وانفقتم أنتم وإياه علي وعلى رعييتي لتظهروه كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمْهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 123] ثم أخذ يتهددهم فقال ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَابِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ أي لأجعلنكم مثله، ولأقتلنكم ولأشهرنكم، قال ابن عباس فكان أول من فعل ذلك. ﴿وَلِنَعْلَمَنَّ ءِئِنَّآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ أي أنتم تقولون: إني وقومي على ضلالة، وأنتم مع موسى وقومه على الهدى فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه؟ فلما صال عليهم بذلك، وتوعدهم هانت عليهم أنفسهم في الله عز وجل.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا آتَتْ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ

الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾﴾

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين ﴿وَالَّذِي فَطَرْنَا﴾ يحتمل أن يكون قسماً، ويحتمل أن يكون معطوفاً على البيئات، يعنون لا نختارك على فاطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم، والمبتدي خلقنا من الطين، فهو المستحق للعبادة والخضوع، لا أنت ﴿فَاقْضِ مَا آتَتْ قَاضٍ﴾ أي فافعل ما شئت وما وصلت إليه يدك ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا﴾ أي إنما لك تسلط في هذه الدار، وهي دار الزوال، ونحن قد رغبنا في دار القرار.

﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾﴾

﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا﴾ أي ما كان منا من الآثام، خصوصاً ما أكرهتنا عليه من السحر لنعارض به آية الله، ومعجزة نبيه ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ أي خير لنا منك ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ أي أدام ثواباً مما كنت وعدتنا ومنيتنا.

﴿إِنَّهُمْ مِّنْ يَّاتِ رَبَّهُ جُعْمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾

الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة لفرعون، يحذرونه من نقمة الله وعذابه الدائم السرمدي، ويرغبونه في ثوابه الأبدي المخلد، فقالوا ﴿إِنَّهُمْ مِّنْ يَّاتِ رَبَّهُ جُعْمًا﴾ أي يلقي الله يوم القيامة وهو مجرم ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ كقوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُحْفَفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: 36] وقال ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: 13] وقال ﴿وَنَادَاؤُا بِمَلِكِكَ يُقْضَىٰ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مِّنْكَثُوتٍ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: 77] روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أناس تصيبهم النار بذنوبهم فتميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة جيء بهم ضباطر ضباطر فبشوا على أنهار الجنة، فيقال: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل» فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية. وهكذا أخرجه مسم في كتابه الصحيح.

﴿وَمَنْ يَأْتِيهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَمَنْ يَأْتِيهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ أي من لقي ربه يوم المعاد مؤمن القلب، قد صدق ضميره بقوله وعمله ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ أي الجنة ذات الدرجات العاليات، والغرف الآمات، والمسكن الطيبات، روى الإمام أحمد عن النبي ﷺ «الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض. والفردوس أعلاها درجة، ومنها تخرج الأنهار الأربعة، والعرش فوقها، فإذا سألت الله فاسأله الفردوس» رواه الترمذي.

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾﴾

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ أي إقامة، وهي بدل من الدرجات العلى ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي ماكثين أبداً ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ أي طهر نفسه من الدنس والنخب والشرك، وعبد الله وحده لا شريك له، واتبع المرسلين فيما جاؤوا به من خير وطلب.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾

يقول تعالى مخبراً أنه أمر موسى ﷺ حين أبى فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل أن يسري بهم في الليل، ويذهب بهم من قبضة فرعون، وقد بسط الله هذا المقام في غير هذه السورة الكريمة، وذلك أن موسى لما خرج ببني إسرائيل أصبحوا وليس منهم بمصر لا داع ولا مجيب، فغضب فرعون غضباً شديداً، وأرسل في المدائن حاشرين، أي من يجمعون له الجند من بلدانه ورساتيقه، يقول إن هؤلاء لشرذمة قليلون، وأنهم لنا لغائظون، ثم لما جمع جنده واستوتق له جيشه ساق في طلبهم ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء: 60] أي عند طلوع الشمس ﴿فَلَمَّا تَرَأَىٰ الْجَمْعَانَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء: 61] أي نظر كل من الفريقين إلى الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ﴿٦٦﴾﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٦﴾ [الشعراء: 61، 62] ووقف موسى ببني إسرائيل. البحر أمامهم، وفرعون وراءهم فعند ذلك أوحى الله إليه ﴿فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ فضرب البحر بعصاه، وقال انفلق علي ياذن الله فانفلق ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: 63] أي الجبل العظيم، فأرسل الله الريح على أرض البحر فلفحته حتى صار يابساً كوجه الأرض، فلهذا قال ﴿فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا﴾ أي من فرعون ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ يعني من البحر أن يغرق قومك.

﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَبَنُو فِرْعَوْنَ بِحُبِّهِمْ ﴿٧٨﴾﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَبَنُو فِرْعَوْنَ بِحُبِّهِمْ﴾ أي البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ أي الذي هو معروف ومشهور، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤَنَّفِكَهٗ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾ فَغَشَّيْنَا مَا غَشَّى ﴿٥٤﴾﴾ [النجم: 53، 54] وكما تقدمهم فرعون فسلك بهم في اليم فأضلهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَبْسُ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٧٨﴾﴾ [مرد: 98].

﴿يَبْسُ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ أي الذي هو معروف ومشهور، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤَنَّفِكَهٗ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾ فَغَشَّيْنَا مَا غَشَّى ﴿٥٤﴾﴾ [النجم: 53، 54] وكما تقدمهم فرعون فسلك بهم في اليم فأضلهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَبْسُ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٧٨﴾﴾ [مرد: 98].

يذكر تعالى نعمه على بني إسرائيل العظام، ومنته الجسماء، حيث أنجاهم من عدوهم فرعون، وأقر

أعينهم منه ، وهم ينظرون إليه وإلى جنده قد غرقوا في صبيحة واحدة لم ينج منهم أحد كما قال ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: 50] وفي البخاري عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وجد اليهود تصوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هذا اليوم الذي أظفر الله فيه موسى على فرعون فقال «نحن أولى بموسى فصوموه» رواه مسلم أيضاً في صحيحه. ثم إنه تعالى واعد موسى وبني إسرائيل بعد هلاك فرعون إلى جانب الطور الأيمن ، وهو الذي كلمه الله تعالى عليه ، وسأل فيه الرؤية ، وأعطاه التوراة هنالك ، وفي غضون ذلك عبد بنو اسرائيل العجل ، والمن حلوى كانت تنزل عليهم من السماء ، والسلوى طائر يسقط عليهم فيأخذون من كل قدر الحاجة إلى الغد لطفاً من الله ورحمة بهم وإحساناً إليهم. ولهذا قال ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ أي كلوا من هذا الرزق الذي رزقتكم ولا تطغوا في رزقي فتأخذوه من غير حاجة ، وتحالفوا ما أمرتكم به ﴿فِيحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ أي أغضب عليكم ﴿وَمَنْ يَمِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ أي فقد شقي .

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٨٢)

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي كل من تاب إلي تبت عليه من أي ذنب كان حتى أنه تاب على من عبد العجل من بني إسرائيل ﴿تَابَ﴾ أي رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو معصية أو نفاق ﴿وءامن﴾ أي بقلبه ﴿وعمل صالحاً﴾ أي بجوارحه ﴿ثم اهتدى﴾ لم يشكك ، واستقام على السنة والجماعة ، ولزم الإسلام حتى يموت .

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءَ عَلَيَّ أَنْتَرَى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِئًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦)

لما سار موسى ﷺ ببني اسرائيل بعد هلاك فرعون ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُونُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٩) [الأعراف: 138 ، 139] وواعده ربه ثلاثين ليلة ، ثم أتبعها عشراً فتمت أربعين ليلة أي يصومها ليلاً ونهاراً فسارع موسى ﷺ مبادراً إلى الطور واستخلف على بني اسرائيل أخاه هارون ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءَ عَلَيَّ أَنْتَرَى ﴿أي قادمون ينزلون قريباً من الطور﴾ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤) أي لتزداد عني رضا ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (٨٥) أخبر تعالى نبيه موسى بما كان بعده من الحدث في بني اسرائيل وعبادتهم العجل الذي عمله لهم ذلك السامري . أي بعدما أخبره تعالى بذلك في غاية الغضب والحنق عليهم ، وهو فيما هو فيه من الاعتناء بأمرهم ، وتسلم التوراة التي فيها شريعتهم ، وهم قوم قد عبدوا

غير الله ما يعلم كل عاقل له لب وحزم بطلان ما هم فيه، وسخافة عقولهم وأذهانهم. والأسف: شدة الغضب، أو هو الجزع على ما صنع قومه من بعده ﴿قَالَ يَقْوَرِ أَلَمْ يَبْعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَا حَسَنًا﴾ أي أما وعدكم على لساني كل خير في الدنيا والآخرة وحسن العاقبة كما شاهدتم من نصرته إياكم علي عدوكم، وإظهاركم عليه وغير ذلك من أيادي الله ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ أي في انتظار ما وعدكم الله، ونسيان ما سلف من نعمة، وما بالعهد من قدم ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوَارِ فَقَدَفْتَهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى

السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ أي عن قدرتنا واختيارنا، ثم شرعوا يعتذرون بالعدر البارد يخبرونه عن تورعهم عما كان بأيديهم من حلي القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من مصر ﴿فَقَدَفْتَهَا﴾ أي ألقيناها عنا، وكان هارون هو الذي أمرهم بإلقاء الحلي في حفرة فيها نار، وإنما أراد هارون أن يجمع الحلي كله في تلك الحفرة ويجعل حجراً واحداً، حتى إذا رجع موسى رأى فيه ما يشاء، ثم جاء ذلك السامري فألقى عليها تلك القبضة التي أخذها من أثر الرسول، وسأل من هارون أن يدعوا الله أن يستجيب له في دعوة فدعا له هارون، وهو لا يعلم ما يريد فأجيب له، فقال السامري عند ذلك: أسأل الله أن يكون عاجلاً فكان له خوار، أي صوت استدراجاً وإمهالاً ومحنة، ولهذا قال ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُمْ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُمْ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ﴾ فعكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوا شيئاً قط مثله ﴿فَنَسِيَ﴾ أي نسيه موسى وذهب يتطلبه، أو نسي أن يذكرهم أن هذا إلهكم.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي العجل، أفلا يرون لا يجيبهم إذا سألوه، ولا إذا خاطبوه. ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي في دنياهم ولا آخراهم. قال ابن عباس: لا والله، ما كان خواره إلا أن يدخل الريح في دبره فيخرج من فمه فيسمع له صوت. وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة لموسى ﷺ أنهم تورعوا عن زينة القبط فألقوها عنهم وعبدوا العجل، فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير، كما جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر أنه سأل رجل من أهل العراق عن دم البعوض إذا أصاب الثوب، يعني هل يصلي فيه أم لا؟ فقال ابن عمر: انظروا إلى أهل العراق قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ، يعني الحسين، وهم يسألون عن دم البعوضة.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ ﴿٩٠﴾

يخبر تعالى عما كان من نهي هارون عليه السلام لهم عن عبادتهم العجل، وإخباره إياهم إنما هذا فتنة لكم، وإن ربكم الرحمن الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، ذو العرش المجيد الفعال لما يريد ﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ أي فيما أمركم به، واتركوا ما أنهاكم عنه.

﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْكَ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ ﴿٩١﴾

﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْكَ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ ﴿٩١﴾ أي لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه: وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه.

﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ ﴿٩٢﴾

يخبر تعالى عن موسى عليه السلام حين رجع إلى قومه فرأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم فامتلاً عند ذلك غضباً، وألقى ما كان في يده من الألواح الإلهية، وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه، وشرع يلوم أخاه هارون فقال ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَتَّبِعَنِ﴾ أي فتخبرني بهذا الأمر أول ما وقع ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ أي فيما كنت قدمت إليك، وهو قوله: ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحَ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142].

﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ ﴿٩٣﴾

﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ﴾ ترقق له بذكر الأم، ومع أنه شقيقه لأبويه، لأن ذكر الأم ههنا أرق وأبلغ من الحنو ولعطف، ولهذا قال ﴿يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ هذا اعتذار من هارون عند موسى في سبب تأخره عنه حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم قال ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ أن أتبعك فأخبرك بهذا فتقول لي: لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم؟ ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ أي وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم، قال ابن عباس: وكان هارون هائباً مطيعاً له.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُنِي﴾ ﴿٩٤﴾

يقول موسى عليه السلام للسامري ما حملك على ما صنعت، وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت؟ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ ﴿٩٤﴾

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ أي رأيت جبريل حين جاء لهلاك فرعون ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ

الرَّسُولِ ﴿ أَي من أثر فرسه ، أي من تحت حافر فرس جبريل ، والقبضة ملء الكف ، والقبضة بأطراف الأصابع : ﴿ فَسَبَّحْتَهَا ﴾ أي ألقى ما كان في يده على حلية بني اسرائيل فانسبك عجلًا جسداً له خوار ﴿ وَكَذَلِكَ سَوَّلْتِ لِى نَفْسِي ﴾ أي حسسته وأعجبها إذ ذاك .

﴿ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ ﴿٩٧﴾

﴿ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ أي كما أخذت ومست ما لم يكن لك أخذه ومسه من أثر الرسول فعقوبتك في الدنيا أن تقول لا مساس ، أي ما تماس الناس ولا يمسونك ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا ﴾ أي يوم القيامة ﴿ لَنْ تُخْلَفَهُ ﴾ أي لا محيد لك عنه ﴿ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ ﴾ أي معبودك ﴿ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ أي أقمت على عبادته ، يعني العجل ﴿ لَنُحَرِّقَنَّهُ ﴾ استحله بالمبارد وألقاه على النار ﴿ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ .

﴿ إِنَّمَا إِلْهِكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ﴿٩٨﴾

﴿ إِنَّمَا إِلْهِكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ﴿٩٨﴾ يقول لهم موسى ﷺ : ليس هذا إلهكم ، إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو ، أي لا يستحق ذلك على العباد إلا هو ، ولا تبغى العبادة إلا له ، فإن كل شيء فقير إليه ، عبد له . وقوله : ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ أي هو عالم بكل شيء ، أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة ، ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرُسُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: 59] .

﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ ﴿٩٩﴾

يقول تعالى لنبى محمد ﷺ : كما قصصنا عليك خبر موسى وما جرى له مع فرعون وجنوده على الجلية والأمر الواقع ، كذلك نقص عليك الأخبار الماضية كما وقعت من غير زيادة ولا نقص ، هذا ﴿ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ﴾ أي من عندنا ﴿ ذِكْرًا ﴾ وهو القرآن العظيم ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطُلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ﴿١٠١﴾ [فصلت: 42] الذي لم يعط نبى من الأنبياء منذ بعثوا إلى أن ختموا بمحمد ﷺ كتاباً مثله ، ولا أكمل منه ، ولا أجمع لخبر ما سبق ، وخبر ما هو كائن ، وحكم الفصل بين الناس منه .

﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴾ ﴿١٠٠﴾

﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ﴾ أي كذب به ، وأعرض عن اتباعه أمراً وطلباً ، وابتغى الهدى من غيره فإن الله يضلّه ويهديه إلى سواء الجحيم ، ولهذا قال ﴿ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴾ أي إنماً كما قال ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ [هود: 17] وهذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم أهل

الكتاب وغيرهم، كما قال ﴿لَا يُذِرْكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: 119] فكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع، فمن اتبعه هدي، من خالفه وأعرض عنه ضل، وشقي في الدنيا والآخرة، والنار موعده يوم القيامة.

﴿خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ (١١١)

﴿خَلِيدِينَ فِيهِ﴾ أي لا محيد لهم عنه ولا انفكاك ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ أي بشس الحمل حملهم.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (١١٢)

ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ سئل عن الصور فقال: «قرن ينفخ فيه» وفي الحديث «كيف أنعم، وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته، وانتظر أن يؤذن له» فقالوا يا رسول الله، كيف نقول؟ قال: قولوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا» وقوله: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ قيل: معناه زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال.

﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ (١١٣)

﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتساورون بينهم، أي يقول بعضهم لبعض: إن لبثتم إلا عشراً، أي في الدار الدنيا لقد كان لبثكم فيها قليلاً عشرة أيام أو نحوها.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ (١١٤)

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي في حال تناجيههم بينهم ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي العاقل الكامل فيهم ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ أي لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد، لأن الدنيا كلها، وإن تكررت أوقاتها، وتعاقت لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد، ولهذا يستقصر الكافرون مدة الحياة الدنيا يوم القيامة، وكان غرضهم في ذلك درء قيام الحجة عليهم لقصر المدة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: 55] ﴿قَلَّ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ (١١٤) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ﴾ (١١٤) قَلَّ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١١٤) [المؤمنون: 112 - 114].

﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْعِبَالِ فَكُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ (١١٥)

يقول تعالى: ﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْعِبَالِ﴾ أي هل تبقى يوم القيامة، أو تزول؟ ﴿فَكُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ أي يذهبها عن أماكنها ويمحقها ويسيرها تسييراً.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ (١١٦)

﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي على الأرض ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ أي بساطاً واحداً، والقاع هو المستوى من الأرض، والصفصف تأكيد لمعنى ذلك، وقيل: الذي لا نبات فيه، والأول أولى، وإن كان الآخر مراداً أيضاً باللازم، ولهذا قال:

﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ (١٧٧)

﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ لا ترى في الأرض يومئذٍ وادياً ولا رابية ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (١٧٨)

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ﴾ أي يوم يرون هذه الأحوال والأحوال يستجيبون مسارعين إلى الداعي، حيثما أمروا بادرُوا إليه، ولو كان هذا في الدنيا لكان أنفع لهم، ولكن حيث لا ينفعهم. ﴿لَا عِوَجَ لَهُمْ﴾ لا يميلون ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ سكنت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ وطء الأقدام، أو الصوت الخفي، أما وطء الأقدام فالمراد سعي الناس إلى المحشر، وهو مشيهم في سكون وخضوع، وأما الكلام الخفي فقد يكون في حال دون حال، فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُوقٍ مُّسَبِّحٌ﴾ [هود: 105].

﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (١٧٩)

يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ﴾ أي عنده ﴿إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255] وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم، وأكرم الخلائق على الله عز وجل أنه قال: «أتيت تحت العرش، وأخر الله ساجداً، ويفتح عليّ بمحامد لا أحصيها الآن، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع، واشفع تشفع، قال: فيحد لي حداً فأدخلهم جنة ثم أعود» فذكر أربع مرات صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء. وفي الحديث أيضاً يقول تعالى «أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقول أخرجوا من النار من كان في قلبه نصف مثقال من إيمان، أخرجوا من النار من كان في قلبه ما يزن ذرة، من كان في قلبه ادنى مثقال ذرة من إيمان» الحديث.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ (١٨٠)

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي يحيط علماً بالخلائق كلهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: 255].

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (١٨١)

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ خضعت وذلت، واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت، القيوم الذي لا ينام، وهو قيم على كل شيء، يدبره ويحفظه، فهو الكامل في نفسه الذي كل شيء فقير إليه، لا قوام له إلا به، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي يوم القيامة، فإن الله سيؤدي كل حق إلى

صاحبه حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القراء، وفي الحديث يقول الله عز وجل: «وعزتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم» وفي الصحيح: إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، والخيبة كل الخيبة من لقي الله وهو به مشرك، فإن الله تعالى يقول ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13].

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ ﴿١١٢﴾

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ ﴿١١٣﴾ لما ذكر الظالمين ووعيدهم ثنى بالمتقين وحكمهم، وهو أنهم لا يظلمون ولا يهضمون أي لا يزداد في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم، فالظلم الزيادة بأن يحمل عليه ذنب غيره والهضم النقص.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ ﴿١١٤﴾

يقول تعالى: ولما كان يوم المعاد والجزاء بالخير والشر واقعاً لا محالة أنزلنا القرآن بشيراً ونذيراً بلسان عربي مبين فصيح، لا لبس فيه ولا عيٍ ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي يتركون المآثم والمحارم والفواحش ﴿أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات.

﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَبِّ

زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿١١٥﴾

﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقُّ﴾ أي تنزه وتقدس الملك الحق الذي هو حق ووعدته حق، ووعيده حق، ورسله حق، والجنة حق، والنار حق، وعدله حق، أن لا يعذب أحداً قبل الإنذار، وبعثه الرسل والإعذار إلى خلقه لثلا يبقى لأحد حجة ولا شبهة، وقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ كقوله تعالى في سورة لا أقسم بيوم القيامة ﴿لَا تُحْرِكُ يَدَ لِسَانِكَ لَتَتَعَجَّلَ بِهِ﴾ ﴿١١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ [القيامة: 16 - 19] وثبت في الصحيح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يعالج من الوحي شدة، فكان مما يحرك به لسانه، فأنزل الله هذه الآية ﴿وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أي زدني منك علماً. قال ابن عيينة رحمه الله: ولم يزل ﷺ في زيادة حتى توفاه الله عز وجل، ولهذا جاء في الحديث «إن الله تابع الوحي على رسوله حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم توفي رسول الله ﷺ» يقول: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمي ما ينفعني، وزدني علماً، والحمد لله على كل حال، وأعوذ بالله من حال أهل النار».

﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١٢٦﴾

إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فَنَسَىٰ ﴿وَأِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ يذكر تعالى تشریف آدم

وتكريمه وما فضله به على كثير ممن خلق تفضيلاً، وقد أمر الله تعالى إبليس بالسجود لآدم تشریفاً له وتكريماً ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ أي امتنع واستكبر.

﴿فَقُلْنَا يَتَادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (١١٧)

﴿فَقُلْنَا يَتَادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ يعني حواء عَلَيْهَا السَّلَامُ ﴿فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ أي إياك أن تسعى في إخراجك منها فتتعب وتعنى وتشقى في طلب رزقك، فإنك ههنا في عيش رغيد هنيء بلا كلفة ولا مشقة.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ (١١٨)

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ (١١٨) إنما قرن بين الجوع والعري، لأن الجوع ذل الباطن، والعري ذل الظاهر.

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ (١١٩)

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ (١١٩) وهذان أيضاً متقابلان، فالظمأ حر البطن، وهو العطش، والضحى حر الظاهر.

﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَادُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ (١٢٠)

قد تقدم أنه دلاهما بغرور ﴿وَفَاسَّهُمَا إِلَيَّ لَكُمَا لَيْنَ النَّصِيحِينَ﴾ (الأعراف: 21).

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ

فَعَوَّى﴾ (١٢١)

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ يرقعان كهيئة الثوب، عن ابن عباس: ينزعان ورق التين فيجعلانه على سواتهما. ﴿وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَعَوَّى﴾.

﴿ثُمَّ أَحْبَبَهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (١٢٢)

﴿ثُمَّ أَحْبَبَهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (١٢٢) في البخاري عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «حاج موسى آدم، فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم؟ قال آدم: يا موسى، أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني، أو قدره الله عليّ قبل أن يخلقني؟ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فحج آدم موسى» وهذا الحديث له طرق في الصحيحين.

﴿قَالَ أَهْطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا لَيْدِكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا

يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣)

يقول تعالى لآدم وحواء وإبليس: اهبطوا منها جميعاً أي من الجنة كلكم، ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ آدم وذريته، وإبليس وذريته ﴿فَأَمَّا يَا لَيْتَكُمْ مَنَىٰ هُدَىٰ﴾ الأنبياء والرسل والبيان ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ أي لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (١٢٥)

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ أي خالف أمري، وما أنزلته على رسولي أي أعرض عنه وتناساه، وأخذ من غيره هداه.

﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَنَا فَتَنْبِيهَا كَذَلِكَ أَلِيَوْمَ نُنسِي﴾ (١٢٦)

﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أي في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك العيشة، أو الضنك الشقاء، أو هو عذاب القبر ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ لا حجة له، عمي عليه كل شيء إلا جهنم، ويحتمل أن يكون المراد أنه يبعث أو يحشر إلى النار أعمى البصر والبصيرة أيضاً ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبَكَآ وَصَنَّا مَا أُولَاهُمْ جَهَنَّمَ﴾ [الإسراء: 97] ﴿وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ أي في الدنيا. ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَنَا﴾ أي لما أعرضت عن آيات الله، وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك تناسيتها، وأعرضت عنها وأغفلتها، كذلك اليوم نعاملك معاملة من ينسأك. ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: 51] فإن الجزاء من جنس العمل. فأما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه فليس داخلاً في هذا الوعيد الخاص، وإن كان متوعداً عليه من جهة أخرى، فإنه قد وردت السنة بالنهي الأكيد والوعيد الشديد. روى الإمام أحمد قال: «ما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يلقاه وهو أجذم».

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ (١٢٧)

يقول تعالى: وهكذا نجازي المسرفين المكذبين بآيات الله في الدنيا والآخرة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾ (١٢٨) ﴿الرعد: 34﴾ ولهذا قال ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ أي أشد ألماً من عذاب الدنيا، وأدوم عليهم، فهم مخلدون فيه، ولهذا قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين «إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة».

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي

الأنهى﴾ (١٢٨)

يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أي لهؤلاء المكذبين بما جتتهم به يا محمد، كم أهلكنا من الأمم المكذبين بالرسول قبلهم فبادوا فليس لهم باقية ولا عين ولا أثر كما يشاهدون ذلك من ديارهم الخالية التي خلفوهم فيها يمشون فيها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ أي العقول الصحيحة، والألباب المستقيمة.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامِهَا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (١١٦)

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي لولا الكلمة السابقة من الله، وهو أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ولولا الأجل المسمى الذي ضربه الله تعالى لهؤلاء المكذبين إلى مدة معينة لجاءهم العذاب بغتة.

﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (١١٧)

﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي من تكذبيهم لك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ يعني صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني صلاة العصر، كما جاء في الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ هذه الآية وفي الحديث: «لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» رواه مسلم ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ أي من ساعات فتهجد به، وحمله بعضهم على المغرب والعشاء ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ في مقابلة آناء الليل ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: 5] وفي الصحيح «يقول الله تعالى: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول هل رضيتم؟ فيقولون: ربنا، وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: إني أعطيتكم أفضل من ذلك، فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً» وفي الحديث الآخر «يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويزحزحنا عن النار، ويدخلنا الجنة؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم خيراً من النظر إليه، وهي الزيادة».

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ

وَأَبْقَىٰ﴾ (١١٨)

يقول تعالى لنبية محمد ﷺ: لا تنظر إلى ما هؤلاء المترفون وأشباههم ونظراؤهم فيه من النعيم

فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة، لنختبرهم بذلك ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبا: 13] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمُنَائِمِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ [الحجر: 87، 88] ﴿لِفَتْنِهِمْ فِيهِ﴾ لنبتليهم فيه ﴿وَرَزَقْنَا رِبِّكَ حَبْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (١٣٢)

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أي استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة، واصبر أنت على فعلها كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: 6] ﴿لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ يعني إذا أقيمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) ﴿وَرِزْقَهُ مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2، 3] ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة، وهي الجنة لمن اتقى الله. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت الليلة كأنما في دار عقبة بن نافع، وأنا أتينا برطب من رطب ابن طاب، فأولت ذلك أن العاقبة لنا في الدنيا والرفعة، وأن ديننا قد طاب».

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ءَأَوْلَم تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ (١٣٣)

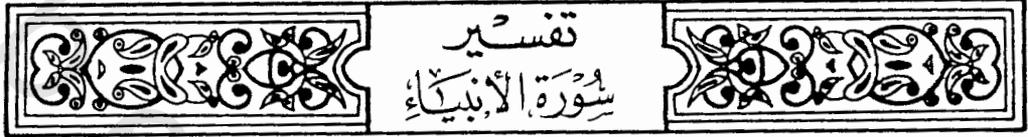
يقول تعالى مخبراً عن الكفار في قولهم ﴿لَوْلَا﴾ أي هلا يأتينا محمد بآية من ربه، أي بعلامة دالة على صدقه في أنه رسول الله ﴿أَوْلَم تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ يعني القرآن الذي أنزله عليه الله، وهو أُمِّي لا يحسن الكتابة، ولم يدارس أهل الكتاب، وقد جاء فيه أخبار الأولين بما كان منهم في سالف الدهور بما يوافق عليه الكتب المتقدمة الصحيحة منها، فإن القرآن مهيمن عليها، يصدق الصحيح، ويبين خطأ المكذوب فيها وعليها. وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَحْزَىٰ﴾ (١٣٤)

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ﴾ أي لو أنا أهلكنا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل إليهم هذا الرسول الكريم، وننزل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ قبل أن تهلكنا حتى يؤمن به وتتبعه، كما قال ﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَحْزَىٰ﴾ يبين تعالى أن هؤلاء المكذبين متعتون معاندون لا يؤمنون ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (١٣٧) [يونس: 97].

﴿قُلْ كُلُّ مُرْتَبِعٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ (١٢٥)

﴿قُلْ﴾ يا محمد لمن كذبتك وخالفك واستمر على كفره وعناده ﴿كُلُّ مُرْتَبِعٍ﴾ أي منا ومنكم ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أي فانتظروا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ أي الطريق المستقيم ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ إلى الحق، وسبيل الرشاد، وهذا كقوله: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 42].



في البخاري عن عبد الله قال: بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، هن من العتاق وهن من تلاميذ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ (١)

هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ودنوها، وإن الناس في غفلة عنها، أي لا يعملون لها ولا يستعدون من أجلها. نزل ضيف بعامر بن ربيعة فأكرم عامر مشواه، وكلم فيه رسول الله ﷺ، فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت من رسول الله ﷺ وادياً في العرب، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك فقال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ (١).

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٢)

ثم أخبر تعالى أنهم لا يصغون إلى الوحي الذي أنزل الله على رسوله، والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ تُحَدِّثُ﴾ أي جديد إنزاله ﴿إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿لَا هَيْبَةَ قُلُوبِهِمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ

وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ (٣)

﴿وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي قائلين فيما بينهم خفية ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يعنون رسول الله ﷺ، يستبعدون كونه نبياً، لأنه بشر مثلهم، فكيف اختص بالوحي دونهم، ولهذا قال ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي أفتتبعونه فتكونون كمن يأتي السحر، وهو يعلم أنه سحر.